بابل

مسرح النبوة والعلم

المقدمة

عقب التحول الكبير الذي شهده العراق في عام ألفين وثلاثة من طي صفحة الدكتاتورية، وثقافة القطب الواحد، إلى مزاولة العيش في خضم المتعدد والتساؤلات المستجدة ، تفجر النبض الشعبي على الساحة العراقية متعثرا مرة، ومستويا على سوقه مرة أخرى.

لقد مثل قطار الانتخابات، علامة التحول الفارقة التي تشي بالقادم الديمقراطي الجديد ألا وهو العراق. حيث تمت مزاولة الانتخابات بوصفها فعلا ديمقراطيا بناء، يتمخض عن خلاصة (كارزمية)، تأخذ بيد الشعب إلى منطقة النور وبر الأمان.

هذه الخلاصة، تمارس تمظهراتها على أكثر من صعيد حسب الشكل الهرمي للدولة العراقية الحديثة، حيث انتقل العراق إلى ما بعد الدولة، بعد أن كان يعيش مرحلة ماقبلية الدولة، حيث يتوزع فيها الحطام على أكثر من جهة.

وليس بخاف على أحد حدث انتخابات مجالس المحافظات الأخيرة، وما أفرزته من خرائط سياسية ستعمل على رسم تشكلات المشهد العراقي المقبل، ولعل أهم ما يلاحظ فيها أنها مورست في كل محافظة من محافظات العراق، آخذة بنظر الاعتبار خصوصية كل محافظة، وما تحمل في جغرافيتها السياسية، والخدمية، والاقتصادية من راهن وراهنات.

حيث كل محافظة شابهت أختها في الإطار، واختلفت عنها في الصيغة، ولاننسى أن هذا التباين يعكس بشكل جلي تباينات خفية، وهي إما حزبية، أو ظرفية، والتي مثلت الأديم الذي تحرك عليه الناخب العراقي، ذلك الناخب البسيط الذي غيرت ورقة اقتراعه الخاصة، مزاج العقل السياسي المحرك لجهاز الدولة الكبير في هذا البلد.

وما يلاحظ أيضا أن هذه الانتخابات تختلف عن سابقاتها من عدة أمور:

الأول: ان الانتخابات الأولى كان يحركها الهاجس الطائفي، فبعد أن فرضت الفوضى الخلاقة وجودها على الساحة العراقية، بات كل عراقي يبحث عن جماعة تحميه من الذئب المفترض، والذي يتربص بالغنم القاصية كما أنها (أي: الأولى)، لم يحدث فيها تزوير بصورة تسرق الأضواء، وتهيمن على مسارها.

والثاني: ان المواطن العراقي ربما قد أشبع إحساسه الطائفي الإيجابي، والذي كان يودي به سابقا إلى حبل المشنقة، فبات في الانتخابات اللاحقة يتمعن في البرنامج الانتخابي للأحزاب، ويدخر صوته لمن يأتي له بالخدمات الضرورية الملحة في الحياة اليومية، ضاربا عرض الحائط ما يتحدث به لسان الاحزاب، بخصوص ثقافة الرمز، والنواح على أمجاد الماضي، والذي يجعل المتكلمين به يمشون للأمام وتحديقتهم أبدا نحو الوراء.

الثالث: ان انتخابات مجالس المحافظات، برز فيها التزوير كوسيلة تتوسلها القوائم الخاسرة لإعادة إنتاج نفسها من جديد.

كل هذه الأسباب، وغيرها وقفت وراءها إرادة الناخب العراقي عارية في الميدان، تحركها الرغبة والأمل في خدمات أفضل، ومستوى اقتصادي أمثل، كأقصى غاية في المنى.

ونحن إذ نقف أمام هذه التساؤلات، محاطين بتحديات مختلفة وكثيرة، تحدونا الرغبة في تحقيق المواطنة الحقة قولا وفعلا، كي لانتحدث مرة أخرى عن عنق زجاجة جديد علينا الخروج منه ولو بجلدنا، بل علينا أن نثري السعي من أجل عراق متعدد الأطياف، وموحد الرؤى، لايستهدف سوى البناء والاعمار، وإبداء الوفاء للدماء التي سالت على هذه الأرض الطاهرة، من أجل الانسان.

الدكتور إبراهيم الجعفري كعادته، وهو ينطلق من وطنيته المبدئية في النظر الى كل الاستحقاقات الديموقراطية، زار محافظات عراقية عدة، اثناء حملة انتخابات مجالس المحافظات، مذكرا اهلها بان الاختيار لعضوية مجالس المحافظات مسؤولية وطنية، وانهم اهل لهذه المسؤولية، داعيا اياهم الى النظر بتبصر لما سبق، وتحديد الاتجاهات اللاحقة، لما يحقق خدمة العراق اجمع.

إن مؤسسة الكتاب الثقافية إذ تقدم اصدارها هذا والمسمى (رحلة الكلمة)، فهي راغبة بان يطلع العراقيون جميعا على نوعية متميزة من الخطابات، والتي تنظر الى العراق ككل قوي، يتكامل بعضه مع البعض الاخر، حيث يمتعنا الجعفري بلغته المتميزة، وباسلوبه الجميل في الطرح.

أنا أشعر أني كلما التقيت جمهوراً من الجماهير، لم ولن أتردّد في أن أواصل الطريق الذي بدأته منذ سِنيّ حياتي الأولى؛ حتى أخدم، وأرهن كل ما لديّ مع إخواني وأخواتي؛ ليصل العراق إلى حيث طموحي، وهو أن يتقدم المسيرة بين أمم العالم، ويحتل الموقع الذي يناسبه، ويناسب ثرواته الجمّة التي حباه الله (تبارك وتعالى)، بها.

.....

نحن اليوم أمام مسؤولية جديدة في النظام الجديد، وهذه تحتاج إلى أخلاقية عالية، وفكر جديد، ونظرية عمل جديدة، ومنهج جديد، ورجال ونساء من طراز استثنائي، يتحوّلون إلى شموع تحترق لأجل أن تضيء.

.....

قد يتنوع الفساد في مصاديقه، لكن الفساد هو الفساد، وقد حاربته قيم السماء، والأنظمة الاجتماعية المختلفة، فالفساد السياسي في المحاصصة السياسية، والفساد الطائفي في التفريق بين ابناء المذاهب، والفساد العنصري في التفريق بين ابناء القوميات، وفي النزعة الشوفينية التي انطلقت من احضان اوروبا، واكتسحتها لتعرض العالم الى حروب دامية، كان حصادها في القرن العشرين قرابة، او زاد على الخمسة والستين مليون بريء.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته محافظة بابل بتاريخ 2009/1/10

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ السلام على أشرف الخلق أجمعين، سيد الانبياء والمرسلين أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين وجميع عباد الله الصالحين.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

قال الله (تبارك وتعالى) في محكم كتابه العزيز:

((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ)).

هذه مدينة (الحلة) المعطاء، والتي تحرك على مسرحها حامل لواء التوحيد إبراهيم (عليه السلام)، واقترن اسمها، وتاريخها بأسماء الأفذاذ عبر التأريخ، حيث تفتحت قرائحهم من زوايا الحياة المتعددة؛ فضمّت في جملة ما ضمت في تربتها، وفي فضائها (ذا الكفل، وإدريس، وأحمد بن طاووس، وعلي بن طاووس، وعمر بن علي، والقاسم بن الإمام الكاظم).

في هذه المنطقة.. مدينة (الحلة) تتجلى الثقافة بأروع صورها، وتبدو البطولة في سوح الوغى، وميادين المواجهة بأروع أمثلتها؛ فأبت إلا أن ترصّع تراب الحلة بأزكى الدماء عبر التاريخ؛ فجادت وأيّما جود بشهداء انطلقوا وهم في عمر الشباب، ويبرز من بينهم الشهيد (حسين المرجان)، والشهيد السيد (كاظم الحسني)، والكثير الكثير من الشهداء، الذين لا يستطيع الإنسان أن يُحصي عددهم.

هذه المدينة التي صدح فيها صوت الشعر مدوّياً؛ فكانت هذه المدينة المباركة، والتي أبت إلا أن تحفظ هويتها المتنوعة، وتحافظ على هذه الخصوصيات فانطلق الحليّان - العلامة الحلي، والمحقق الحلي - من هنا، ومن هنا مرّ ركب طويل من العلماء، والفقهاء، والأدباء، والشعراء، والفنانين، والكثير الكثير ممن أسهموا في إثراء الحضارة.

لقد طال شوقي، وتعمّق إحساسي في أن أقصد مدينة الحلة، ولي أسباب كثيرة، منها: عطاءاتها الثرّة المتعددة، وعلاقتي مع الكثير من أبنائها من مثقفين، وشعراء، وأدباء، ودُعاة، وحاملي هموم الوطن، وغير هذين السببين، فقد كانت تشدّني شداً عميقاً متجذراً إلى هذه المدينة المباركة.

من هذا المنبر أحيّي أبناء الحلة.. أحيّي عوائل الشهداء.. أرامل الشهداء.. أبناء الشهداء.. آباء الشهداء وأمهاتهم.. أحيي هذه البيوت.. مصانع البطولة، ومدارس الأخلاق، والتربية، والفكر، ومعدن الوطنية، وسر الانتصار.. أحيّي بناتنا حرائر الحلة.. أحيّي شبابنا ذوي المشاعر المتوقدة، والتي تنير طريقنا نحو المستقبل، والذين يحملون سر الصعود نحو المستقبل.. أحيّي كل شاعر من الذين غمروني بفيض كلماتهم الحانية، والتي عبّرت عن مكنون إحساسهم، ولا أملك إلا أن أبادل أحاسيسهم بأصدق الإحاسيس، وأبادل تحياتهم بأروع التحيات، وكل الشكر، والتقدير، والمحبة لهم.

أنا أشعر أني كلما التقيت جمهوراً من الجماهير، خصوصاً عندما يكون جمهوراً كجمهوركم، ومشاعره كمشاعركم، لم ولن أتردّد في أن أواصل الطريق الذي بدأته منذ سِنيّ حياتي الأولى؛ حتى أخدم، وأرهن كل ما لديّ مع إخواني وأخواتي؛ ليصل

العراق إلى حيث طموحي، وهو أن يتقدم المسيرة بين أمم العالم، ويحتل الموقع الذي يناسبه، ويناسب ثرواته الجمّة التي حباه الله (تبارك وتعالى)، بها.

نحن اليوم في زمن التصدي.. زمن التصدي بتولي شؤون الدولة العراقية الجديدة، ولسنا في مرحلة النظام السابق عندما كنا معارضة، حيث خرّ الكثير من أبنائنا، وبناتنا صرعى في تحدي النظام، وقد قوّضوا بتضحياتهم النظام.

نحن اليوم أمام مسؤولية جديدة في النظام الجديد، وهذه تحتاج إلى أخلاقية عالية، وفكر جديد، ونظرية عمل جديدة، ومنهج جديد، ورجال ونساء من طراز استثنائي، يتحوّلون إلى شموع تحترق لأجل أن تضيء.

آثرت أن أنطلق من هذه الآية الكريمة، التي تحدد مسارات أربعة لكل متصدٍ :

((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)).

شعار المتصدي ليس الانتقام من المرحلة السابقة:

((خُذِ الْعَفْوَ)).

أي: افتح قلبك وعقلك؛ لتستوعب الآخر، ولتشعر الآخر أنك أب وأم، لتفتح لهم طريق العودة، ولنحتضنهم، ونبدأ وإياهم رحلة جديدة؛ حتى يسهموا في بناء العراق.. لا ينبغي أن نستقبل هؤلاء بنفوس متخمة بالحقد والكراهية:

((خُذِ الْعَفْوَ)).

هو أن نفتح ذراعينا لكل هؤلاء؛ حتى يعودوا إلى الركب، إذ إنهم أبناؤنا وبناتنا؛ فعلينا أن نبرهن أن قلوبنا مفتوحة لهم، وأن الجسور ممتدة.

ونحن نعيش وإياكم، رحاب ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، نستلّ هذا المفهوم الرائع، الذي ذكرنا شاعرنا به في المقطع الحماسي الممتاز الذي انشده، بمصداق من المصاديق، وهو ثورة العشرين التي لم تكن ثورة متكافئة في السلاح مع الانكليز، بل مثّلت الجزء الأقل من حيث العدة، والعدد، والسلاح، لكنها مثلت الجزء الأقوى من حيث المعنوية والإرادة.

هذا درس من دروس ثورة أبي الأحرار، وعلينا دائماً عندما يحتدم الصراع، وتشتد المعركة، أن تكون إرادتنا أقوى من إرادة الباطل، وعزمنا أشد من عزم الآخرين الذين يريدون أن ينتهكوا حرمنا:

((خُذِ الْعَفْوَ)).

نفتح قلوبنا للآخرين، ونخاطبهم ليس من موقع الانتقام، فنقول لهم عودوا إلى قيمكم ومبادئكم، وإلى أهليكم فإن صدور أهليكم واسعة، سعة هذا الشعب بكل أطيافه ومكوّناته، ثم يقول تعالى :

((وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ)).

إن من يضع نفسه موضع المتصدي، يجب أن يجيب عن هذا السؤال: ماذا تملك من خطط، وماذا تملك من برامج؛ حتى تحقق الأهداف المنويّ تحقيقها، فشعبك ينتظر منك أن تقيم عرفاً جديداً، وان تعكس ذلك على أمنك ، وسياستك، واقتصادك، وخدماتك، وعلى وحدتك الوطنية، وان تأمر بالمعروف، إنما سُمّي المعروف معروفاً؛ لأن الناس تعارفوا عليه، والعقلاء تعارفوا عليه، وأقره الشرع، الأمر بالمعروف هو أن نضع لكل ظاهرة من ظواهر الشذوذ حلولاً، وأن نتسابق لمعالجتها، وأن نضع الأهداف التي من شأنها أن ترتقي بالعراق، من الفقر والتمزق، إلى حيث ينبغي أن يكون، إن التسابق بالمعروف، هو أن نشهد ساحة ساخنة، يشمّر فيها أبناؤنا وبناتنا عن سواعد الجد، في بناء العراق من خلال بناء مدنهم.

يجب ان لانكتفي بأن نكون متحدرين من تأريخ قوي، بل لابد أن نصنع حاضراً قوياً، ونخطط لمستقبل قوي، ومثلما عمل أجدادنا وآباؤنا على أن يضعوا العراق في المقدمة، لابد أن نحافظ على هذه الأمانة، ونبقى حريصين على وضعه في المقدمة، بالطبع أن الإنسان الذي يعمل، ويأمر بالمعرف، سيواجه ردوداً وصدوداً من هنا وهناك، وهذه هي الشريحة الثالثة التي ذكرتها الآية الشريفة؛ ولذلك خاطبنا القرآن الكريم:

((وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)).

لإنك لا تستطيع أن تكمّم أفواههم، لكن تستطيع أن تترفع عن أحاديثهم:

((وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)).

((وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)).

لا نستطيع أن نسكت الذين يتخرصون، ويتهمون، ويحاولون أن يعيقوا مسيرة البناء؛ لأنهم ينتفعون من أجواء الفرقة، والخراب، وتتضرر مصالحهم اذا انتفع

الشعب، لذلك تراهم يتصيدون في الماء العكر، وعندما نعرض عن الجاهلين نحتاج الى ملكة عالية، كما يجب ان لا نتمتع بروحية الاستعلاء، والنظرة الفوقية للناس.

يجب أن ننظر الى داخل نفوسنا، ونراجع أنفسنا كثيراً، خصوصاً عندما نمر بمرحلة بناء الدولة، وننظر إلى تجربتنا وما أفرزت، وننظر الى دواخلنا.. الى قلوبنا، والى نفوسنا، لذلك خاطبتنا الآية القرآنية الكريمة في آيتها الرابعة:

((وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)).

النزغ، عكس النزع، فالنزع أن تمسح الشيء، اما النزغ، فمده بهدوء الى داخل نفسك:

((وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)).

كيف استطاع الشيطان أن ينزغ في نفوس ابناء البلد الواحد، والشعب الواحد، والدين الواحد، والذين يتوجهون الى القبلة الواحدة، ويرددون صوت النبي الواحد، وان يستبدل ذلك بحقد وكراهية، لقد اراد الاشرار ان يستبدلوا صورة التعايش المذهبي، الذي قدمه العراقيون في كل مدينة من مدن العراق، بالحقد والكراهية، وقد كانت احدى الصفحات المشرقة لهذه المدينة الرائعة، هو طريقة التعامل الرائع بين ابناء المذهبين.. بين ابناء السنة والشيعة.

أراد هؤلاء بعد أن نزغ الشيطان في نفوسهم، وفي قلوبهم، أن يحوّلوا هذه الوحدة الى تمزق، ويجعلوا من بدن العراقيين أشلاء تتطاير عبر التفجيرات، ودفعت مدينة الحلة الدامية، والنازفة ضريبة الاحتراب، والتعصب الطائفي، ثم عادت - والحمد لله- تعيش في أفق التعايش المذهبي.

نحن اليوم نتوجه الى مواسم الانتخابات، وعندما نتقدم الى موسم الانتخابات نجد انفسنا امام عروض كثيرة، وامام مرشحين كثر، بلغ عددهم اكثر من 1400 مرشح - مرحباً بهم جميعاً - وأحيّيهم هنا من هذه المنصة، تحية الاب الى ابنائه، وبناته من دون فرق بينهم، سوى الكفاءة، ومقدار النزاهة والعطاء.

لا نتقدم الى عملية الانتخابات من موقع التحاقد والتباغض، ونحن ابناء وطن واحد، وامامنا مصير مشترك، فمن العيب أن نتوجه الى موسم انتخابات، وفي النفس حنق وكراهية على الآخرين، لا لشيء إلا لأنهم انخرطوا في قائمة اخرى.

إنما نميّز بينهم بالتصويت بناءً على كفائتهم، ونزاهتهم، وامانتهم، واخلاصهم، وتضحيتهم، واستعدادهم للبقاء في صفوف الفقراء، الذين يشكلون بالنسبة لنا الهدف

الاساس، والشغل الشاغل؛ حتى يرتقوا الى مستوى الغنى، وينعموا بهذه الخيرات الكثيرة، التي منّ الله (تبارك وتعالى)، بها على هذه المدينة، مدينة (الحلة). بهذه الخصوصيات، والامتيازات استطاعت مدينة الحلة أن تنشر ظل الوحدة الوطنية بين ابناء السنة والشيعة، وبين رجالها ونسائها، وبين كهولها وشيبها وشبانها، وبين ابناء الاتجاهات السياسية المختلفة.

هذه المدينة التي مزجت مزجاً رائعاً بين حاضرها لتتجدد مع الزمن، وبين تاريخها لتكون محافظة على اصالتها.. من هنا، من الحلة، ومن عام 1792 الى 1750 اثنتان واربعون سنة هو عمر (حمورابي)، الذي دوّن مدوّنته هنا (مسلة بابل)، وقرنها ببابل، بالحلة، حيث تألفت المسلة من 252 مادة، عبقت بالكثير من الحقائق، والتي يتغنى بها رواد الحضارة من مختلف التوجهات. مسلة حمورابي، طالبت بانصاف المرأة وإعطائها حقوقها، مسلة حمورابي أشارت من وقت مبكر، الى ضرورة تنظيم شبكة الري، واعطاء القبائل التي تستثمر مياهها اولوية، مسلة حمورابي ومنذ ذلك الوقت، أشارت الى اول قانون جزائي في تاريخ القوانين، وكان من الطبيعي ان تتعرض بابل الى ما تتعرض له، فتعرضت الى غزو الآشوريين، وبعد ان استقلت تعرضت الى غزو فارسي في وقت اخر، ومن الطبيعي عندما يكون فعلك كبيراً، تكون ردود فعلك هي الاخرى كبيرة.

بعض الاحيان نعرف الابطال، والخيرين والخيرات من امثالكم، من مدح المادحين المنصفين، وأحياناً اخرى من خلال كلمات السوء التي تصدر عن اعداء الحقيقة، واعداء الحرية والبناء؛ لأن مصالحهم تتضرر فيطلقون اصواتهم، ويرفعون نعيقهم ضد الطيبين من امثالكم.

الوقت الان وقت بناء وتنمية، ونحن نريد من هذا الموسم الانتخابي، ان يحقق معياراً وطنياً.. نريد تحقيق فرق نوعي، يرتقي به المتصدون والمتصديات الى حجم الوطنية العراقية.. نريد عقلاً متفتحاً يخطط، ويبرمج للعراق من خلال خطط تتكفل بتحقيق اهداف معطلة، وتنهي فصلاً من المأساة، والتحديات التي تقضّ مضاجع الآمنين من ابنائنا.. نريد من الذين يحملون الامانة ان تكون قلوبهم كبيرة سعة العراق كله، من دون تفريق. نحن نصوّت للذين أخذوا على عاتقهم الارتقاء بالعراق الى حيث هو العراق، كله خيرات، كله ثروات، كله قيم ومبادئ.. وتاريخنا يذكرنا بذلك، والشهداء الذين ذهبوا ظلت اصواتهم تملأ خاطرنا، وتدوّي في عالمنا، بأنهم ما اعطوا دماءهم إلا لبناء العراق وتحريره، من كل ظاهرة من ظواهر الفساد.

قد يتنوع الفساد في مصاديقه، لكن الفساد هو الفساد، وقد حاربته قيم السماء، والأنظمة الاجتماعية المختلفة، فالفساد السياسي في المحاصصة السياسية، والفساد

الطائفي في التفريق بين ابناء المذاهب، والفساد العنصري في التفريق بين ابناء القوميات، وفي النزعة الشوفينية التي انطلقت من احضان اوروبا، واكتسحتها لتعرض العالم الى حروب دامية، كان حصادها في القرن العشرين قرابة، او زاد على الخمسة والستين مليون بريء.

لابد من ان نستفيد من تجارب العالم، ولابد من ان نتمسك بمبادئنا وقيمنا، لابد لمن يتقدم للترشيح ان يتحلى بعقلية المسؤولية، ويفكر بحجم العراق، وبالعائلة العراقية، ولا يفكر بتحقيق فرق على مستوى الكسب الشخصي، او الحزبي او الجهوي، انما يفرق، ويحقق فرقاً كبيراً على مستوى الاداء الوطني العراقي، ويفكر كيف يهزم الفقر، وكيف يرتقي بمستوى الخدمات، وكيف ينهي فصول المأساة التي طال امدها، واطبقت على العراقيين.

نحن ننتظر هؤلاء، وبذلك سننتقل الى الاخر، اياً كانت قائمته، مادام عقد العزم على تحقيق هذه الاهداف، وانهاء فصول المأساة، ليس لدينا عقدة عاطفية من احد، وليس لنا عقد عاطفي مع احد، عقدنا الدائم هو مع الوطنية العراقية، ونحن مُصرون على تجسيد هذه القيم والمبادئ؛ حتى نحفظ هذه الامانة للاجيال القادمة، ونفجر طاقات ابنائنا وبناتنا، ومن خلالهم سنصنع مستقبلاً قوياً وزاهراً. ربحنا أولاً أن نرتقي، ونحقق مكاسب للوطن العراقي بكامل حجمه، نئنّ لكل الفقراء من دون تمييز، ونعمل من اجل تحسين الحالة المعاشية لكل العراقيين من دون تمييز، كل اطفال العراق اطفالنا، وكل نساء العراق نساؤنا، وكل ابناء العراق ابناؤنا، والذي يتصدى للمسؤولية، عليه ان لا يفكر في ان يختزل العراق بذاته، بل عليه ان يتسع بذاته لكل العراقيين.

نريد من يقرأ مصالح الشعب العراقي، ولا يقف عند حدود قرأته، ويعقد العزم على ان يحقق ذلك....نريد من يفكر جيداً، ويعرف جيداً الأخطار المحدقة بالعراق، سواء كانت على المستوى الدولي، او المستوى الاقليمي، او المستوى الداخلي، ولا يقف عند حدود القراءة، بل ينذر نفسه لمواجهة هذه التحديات، نحن لانريد أن نعتدي على احد، لكننا لا نقبل ان يُعتدى علينا.

العراقيون يمثلون العمق الإنساني، وهم الذين يتحدثون بلائحة حقوق الإنسان، الإنسان في كل مكان نئنّ لأنينه، نحن حزنا لما اصاب (واشنطن) و(نيويورك)، لا من زاوية سياسية، ولا من زاوية الإدارة الأمريكية، إنما من الزاوية الانسانية، ورفضنا ان يتعرض ابناؤهم، ومواطنوهم الى الخطر، لماذا لا نتألم، ولانربط مشاعرنا بمشاعر اهلينا في (غزة).

المنظمات الدولية، التي اختزلت لنفسها الكثير الكثير من الصلاحيات، والميزانيات، ماذا عملت وطاحونة الموت يومياً تقض مضاجع الآمنين في (غزة)، ولا تفرق بين الاطفال والنساء، بين الكبار والصغار، اين حقوق الانسان، اين الامم المتحدة، اين مجلس الامن، واين منظمة المؤتمر الاسلامي، واين جامعة الدول العربية، اين هؤلاء؟ انهم على المحك، محك غزة وضع المخلصين، وغير المخلصين على دائرة الفرز، ليست المسألة مسألة خطب، فجرح غزة لازال ينزف دماً يتدفق يومياً، ماذا عمل هؤلاء؟.

أما هيئة الأمم، فرضيت ان تكون واجهة لدولة ما، ورضيت لنفسها فقط ان تتخذ قراراً غير ملزم، تضحك به على الذقون، "قراراً غير ملزم"، عندما يصابون بأذىً يستبيحون الجميع، ويستبيحون كل البلدان، ويقسمون العالم كما يشاؤون، اما عندما تتعرض جماهيرنا في غزة الى الموت فيصيبهم الصمم، ويفكرون كيف يلعبون بالالفاظ، ويمررون الوقت كأنّ شيئاً لم يكن، لذا نقول: ان الخطر الذي دهم غزة، خطر يدهم الانسانية كلها بدون تمييز.

في مدينة (الحلة)، ونحن على ابواب الانتخابات، نريد للمرشحين والمرشحات ان يهيؤوا برامجهم، ويهيؤوا خططهم، ويكونوا على وعي كافٍ للعمل بالدستور والقانون؛ حتى يحدثوا فرقاً بين ما هي الحلة اليوم، وما ستكون عليه، وقبل هذا وذاك، يجب ان يهيؤوا قلوبهم ونفوسهم، للتعايش مع الاخرين، حيث لابد ان يحب بعضهم بعضاً. إن تتعدد الصور، والملصقات على الجدران امر طبيعي، قال تعالى:

((خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)).

أما ان تتحول لدى بعض ضعاف النفوس، الى عملية احتراب، وتحاقد فلن تكون هناك أية عملية بناء، شعبنا يدرك جيداً ان الذي يتعرض الى المضايقات هو الضحية، وشعبنا يحترم الضحايا، فعندما سقط الإمام الحسين (عليه السلام) ضحية، أعطى درساً للآخرين، وتألق من موقع التضحية، الصورة لا تغير شيئاً، لكنها تكشف. نحن مع هذا الركب المبارك، الألف والأربعمائة مرشح، ونبارك لكل من تفرزه النتائج، ونقول لهم: سينتظركم مجلس المحافظة الذي سيضم هويات متعددة، يجمعها الإطار العراقي، وتجمعها المصلحة الوطنية العراقية، فمن يُرِد أن يتنافس، فليتنافس بمشاعره، وأحاسيسه، وتضحيته من اجل ابناء شعبه.

أملي من كل المنتخبين، والمنتخبات، وهم يتوجهون الى صناديق الانتخابات، ان يضعوا في حسابهم انتخاب الاكفأ لخدمة العراق.... انتخاب من يجسّد الوطنية العراقية.... انتخاب من يعيش في صفوف الفقراء.... انتخاب من ملأ رأسه بهموم

هذه المدينة، بتاريخها، وحاضرها، وامتداداتها، وكل مآسيها..... انتخاب من يعيش حالة الوحدة الوطنية بين ابناء شعبنا.... انتخاب من يخطط لطلابنا، وطالباتنا الذين يحملون اسرار التنمية المستقبلية. ما من ثورة في العالم إلا والشباب سرها، وما من حركة اصلاح في العالم إلا والشباب سرها، أ لم يقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

(صدقني الشباب يوم كذبني الكهول والشيوخ).

تحية حب واحترام، وتقدير مرة اخرى لكم جميعاً، لرجالكم ونسائكم، لابناء الحلة الابرار.. تحية للطفولة البرئية.. تحية للأرامل واليتامى والثكالى.. وعهد الله علينا اننا سنعمل يداً بيد من اجل الصعود بالعراق، الى ما ينبغي ان يكون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يجب أن لا تكون حركة الحكومة بتفاصيلها، بمعزل عن بناء الدولة، والدولة يجب ان تقوم على قاعدة مجتمعية عريضة، تنسجم فيها الخيوط الاجتماعية المختلفة، حتى تعبّر بنسيجها عن وحدة التلاحم بكل اشكاله والوانه، الثقافة اليوم التي يراد لها أن تسود في المجتمع، هي ثقافة الانكفاء، والتنظير للتجزيئية، وهذا من اشد الهزائم التي تـُمنى بها الدول، كما هي التجزئة إلى كيانات سياسية، تثقف على الاختلاف القومي، والعرقي، والمذهبي، والحزبي.

.....

كما ليفهم الجميع، أن العراق لكل العراقيين، ولايمكن للعراق ان يجتزأ، ويقسّم، لانه اذا ما تقسم - لاسامح الله- فسيبقى متخلفاً وفي خندق مظلم، وإذا تطلـّب ذلك تضحيات، فكل العراقيين مستعدون للتضحية، واذا تطلب ذلك جماجمنا، فقد قررنا ان نعير جماجمنا من اجل شعبنا.

.....

ان على الناخب مسؤولية، فعندما يأتي الى صندوق الاقتراع، عليه أن ينتخب من يتوسم فيه مصلحة مدينته، من خلال كفاءته، ونزاهته، ووطنيته، وشعبيته، واحترامه للناس، وتحقيقه ما عجز عنه الآخرون.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال لقائه عددا من اهالي بابل في قاعة المدهش بتاريخ 2009/1/10

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ السلام على أشرف الخلق أجمعين سيد الانبياء والمرسلين، ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وجميع عباد الله الصالحين..

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

قال الله (تبارك وتعالى) في محكم كتابه العزيز:

((أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)).

مع قرب موسم الانتخابات، وإطلالة التحول الذي نتطلع اليه من خلال ما تفرزه صناديق الاقتراع؛ حتى نجتاز الحالة بما هي عليه الان الى ما ينبغي ان تكون، فنحن نعلق آمالنا، وطموحاتنا على ابنائنا، وبناتنا من اهل هذه المدينة المعطاء، التي عوّدتنا على العطاء، والكرم، والشجاعة في كل مراحل التأريخ..

(الحلة)، لم تفرّق بين ابنائها حين أمدتهم بالماء، والهواء، والثروة التاريخية والمعنوية، (الحلة) كانت كريمة مع كل ابنائها وبناتها، ولابد من كل ابنائها وبناتها ان يفوا، ويبادلوا الوفاء.. الوفاء لمدينتهم.

من يدقق النظر بمجتمع كمجتمع الحلة، يجد ان فيه خصوصيات متميزة تجعل من هذه المدينة دون غيرها صورة للمجتمع العراقي، نتيجة تنوعاتها المختلفة، فقد ربطت بين تاريخها الموغل بالقدم، وبين حاضرها المتدفق بالحيوية والتجديد، وربطت بين المركبات المجتمعية المختلفة ربطاً رائعاً، وقدمت لنا أنموذجاً من ابناء الطائفتين، الذين باتوا يتحركون سوية سنة وشيعة، في وقت راهن البعض على تهشيم عرى العلاقة، وتقطيع جسور المحبة بين ابناء الطائفتين، هذه المراهنات التي نظّر لها المنظرون، وخطباء الارهاب وفقهائه، ممن باعوا ضمائرهم، وانحرفت افكارهم، وطرحوا منهجاً منحرفاً، حتى يوغروا صدور ابنائنا بعضهم ضد البعض الاخر، لا لشيء الا لانهم من مذهب آخر.

أبت (الحلة)، إلا أن تتماسك، لتحفظ لحمة ابنائها من ابناء المذاهب، وما نتوسمه ونحن نقدم على صناديق الاقتراع، حيث نتمنى لكل المرشحين الالف والأربعمائة، ان ينعكس هذا التنافس على ابناء هذه المدينة، وواقعها إيجاباً، حيث ينتقل من صور

الفقر المدقع الحزينة، وحيث حالة البطالة، وترسبات الماضي الحزين من الارامل، والايتام، والثكالى، ومن صرعى الدكتاتورية، وصرعى الارهاب، الى صورة بناء الدولة.

يجب أن لا تكون حركة الحكومة بتفاصيلها، بمعزل عن بناء الدولة، والدولة يجب ان تقوم على قاعدة مجتمعية عريضة، تنسجم فيها الخيوط الاجتماعية المختلفة، حتى تعبّر بنسيجها عن وحدة التلاحم بكل اشكاله والوانه، الثقافة اليوم التي يراد لها أن تسود في المجتمع، هي ثقافة الانكفاء، والتنظير للتجزيئية، وهذا من اشد الهزائم التي تـُمنى بها الدول، كما هي التجزئة إلى كيانات سياسية، تثقف على الاختلاف القومي، والعرقي، والمذهبي، والحزبي.

البعض يحاول ان يقطع اوصال المجتمع؛ لذا يجب ان نعي المساحة المشتركة التي تربط العراقيين، وهي الوطنية العراقية، والمصالح العراقية المشتركة التي تهم كل المواطنين، وكذلك الاخطار المشتركة التي تواجه العراقيين، فعندما يزدهر الوضع الاقتصادي، سينشر ظله الوارف على كل العراقيين، وعندما تتحول عجلة الاعمار ستنعكس على دخول كل الافراد، وعندما تتسع الاراضي الزراعية، سينعكس ذلك على منتوجنا الوطني، هذا على مستوى المبادرة والافعال.

اما عندما ينشط، ويستفحل الارهاب فانه سيهدد كل ابنائنا وبناتنا، ولا يفرق بين احد ابداً، وحتى الان لم تزل صور مأسيّ الاغتيالات، والتفجيرات التي حصلت في مختلف مناطق العراق حاضرة، حيث لم تفرق بين عربي، أو كردي، أو تركماني، ولم تفرق بين مسلم وغير مسلم، ولم تفرق بين سني وشيعي، عمت بخطرها كل العراق، واذا اردنا ان نواجه هذه الحالة، لابد ان تكون انطلاقتنا انطلاقة قيمية، راسخة، وقوية، وان ننذر ابناءنا، وبناتنا لخدمة الوطن.

كما ليفهم الجميع، أن العراق لكل العراقيين، ولايمكن للعراق ان يجتزأ، ويقسّم، لانه اذا ما تقسم - لاسامح الله- فسيبقى متخلفاً وفي خندق مظلم، وإذا تطلـّب ذلك تضحيات (أي: بقاء العراق موحدا)، فكل العراقيين مستعدون للتضحية، واذا تطلب ذلك جماجمنا، فقد قررنا ان نعير جماجمنا من اجل شعبنا، فليسمع هؤلاء الذين يسكنون الغرف المظلمة، وليراجعوا انفسهم، ويبدأوا نزالات جديدة في كل الانتخابات على بذل كل ما لديهم من اجل الصعود بالعراق، ووقف جروحه النازفة، وتحرير ثرواته من كل شيء، لا لغايات اخرى.

كفانا طأطاة للقوى الاجنبية في بلادنا، حين تنتهك الحرمات، ولا يفسح المجال لابنائنا وبناتنا بالارتقاء والصعود، كفانا سخرية، نحن اصحاب الثروة المعنوية التي تجعل صوت القوة المعنوية يهدر في داخلنا، ويملأ وجودنا.

صانع وجه الله، يكفِك الوجوه كلها، أرأيتم الامام (زين العابدين)، عندما وقف (هشام بن عبد الملك بن مروان) بكل جبروته واسلحته، وحاول ان يقترب من الحجر الاسود، وابى عليه الطائفون، وقطعوا عليه الطريق، وجاء ابن بنت رسول الله، فانشق الطائفون شقين، وذهب بجلالته، وعظمته المعنوية وقبّل الحجر الاسود، عندئذ سأل (هشام بن عبد الملك)، ولم يكن سؤاله استفهامياً بريئاً، بل كان سؤالاً استنكارياً خبيثاً قائلا : من هذا؟ فانبرى له الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطئته

والبيت يعرفه والحل والحرم

لا نريد من امتنا وشعبنا، أن يعطوا الولاء في الطواف حول الكعبة، وهم لا يعرفون الطواف في الحياة كلها، والله... لو أن الذين وقفوا الى جنب زين العابدين في الطواف، وناصروه وقطعوا الطريق على اعدائه ومنعوهم من الوصول الى الحجر الاسود، واوصلوه، لو فهموا الطواف حول الكعبة بأنه طواف الحياة كلها لقطعوا كل الطرق، ووضعوا القياديين، والشرعيين من آل البيت في مكانهم.

لاينبغي ان نعيش القيم في بيوتنا، ونخاصمها في دوائر الدولة ومؤسساتها.. لا ينبغي ان نتجه الى الله (تبارك وتعالى)، في مساجدنا وحسينياتنا ونحن نحارب القيم، ونعصي الله في الدوائر.

نريد لكل مرشح من أية قائمة كانت، أن يضع في حسابه هذه المدينة، هذا التراث الحلي الرائع، ويسأل نفسه كيف اكون عتلة من عتلات الارتقاء والصعود، وكيف استطيع ان احقق انجازاً على مستوى الخدمات، والامن، والصحة، والمدارس، والتربية، والتراث، والرياضة، والفن، والشعر، والزراعة، والتجارة، والصناعة؟.

عندئذ سيدرك، اكثر من اي وقت مضى قيمة البرنامج والمنهج، وقد قال الله تعالى:

((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)).

((أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)).

سيجد في اخوانه الذين يعملون الى جانبه عوناً.. سيحبهم لانه يدرك ان بواسطتهم يختزل الزمن، ويحقق الأهداف.

إن الانسان عندما يرتقي الى مستوى الاهداف، ويجعل همومه الحقيقية، هموماً مرتبطة بالعراق، وبحجم العراق كله، سيجد في كل آخر، جزءاً متمماً لمهمته، وسيحبه، وستشتبك يده مع يد الاخرين، لانه يدرك انه لا يستطيع ان يقوم بالمهمة لوحده، فلايمكن ان نختزل العراق بشخص او حزب، بل كل الجهود يجب ان تتكاثف، من دون استثناء لبناء العراق الجديد.

الأمّة الحية، هي الامة التي إذا ما دهم البلد خطر، تضع كل نزاعاتها جانباً، كالذي حصل في بريطانيا عام 1988، وكنتُ عندها في بريطانيا، عندما أعدم صدام أحد الشخصيات البريطانية، وهو مواطن يهودي اسمه (بازوفت)، وأرسله بصندوق الى بريطانيا، كان حزب المحافظين على رأس السلطة، وكانت (مارغريت تاتشر)، رئيسة وزراء، وقف الجميع، حزب المحافظين الحاكم، وحزب العمال يبكون في البرلمان؛ واعتبروه قضية تخص البلد كله.

وعندما تعرضت امريكا بالامس القريب في 11 أيلول (سبتمبر)عام 2001، إلى هجوم في واشنطن ونيويورك، وقف الجمهوريون والديمقراطيون سوية، من اجل الذود عن امريكا، وتعاطف العالم معهم، وقل ذلك في مختلف مناطق العالم، في اسبانيا، وفي ايطاليا، وفي اندنوسيا، عندما قضّ الارهاب مضاجع الآمنين، تحركت كل الفصائل سوية، وتُركت كل الخلافات والمشاكل جانباً.

نحن اليوم، يجب ان نتعرف على الاخرين، لأننا كلنا ننتمي الى ذات البلد، والى ذات الشعب، فلنتعاون لإزالة شبح الفقر، وصور المأساة التي اطبقت على الجميع في هذا المجتمع، أطفالهم، ونسائهم، كبارهم وصغارهم.. هذه مسؤوليتنا جميعاً، والمسؤولية ليست هبة، ولا غنيمة، إنما تعني بذل الجهد والتضحية. كثيرون هم الذين استأثروا بالسلطة، ولعنهم الله (تبارك وتعالى)، ولعنتهم الشعوب في المراحل اللاحقة؛ لأنهم لم يكونوا أهلاً للمسؤولية، لذا على الجميع ان يمارسوا دوراً بنائياً، تعبوياً باتجاه العراق واهله.

الأمة الحية، تتلمس حيويتها بكل جزء من أجزائها، في البيت، والمدرسة، والإعلام، والسفر، حيث في اي مكان تذهب تجد الشعب مشغولاً بالبناء.

ننتظر جهود الخيرين من امثالكم، وهناك 1400مرشح في مدينة الحلة، وهم ثروة، ونشكرهم، وكلما زاد العدد، زاد ترحيبنا بهم وأهلاً وسهلاً، ونريد لابنائنا وبناتنا في الحلة، أن يعينوا مدينتهم، ويختاروا الأفضل، والأكفأ، وفق تنافس شريف من أجل بناء هذه المدينة.

كنا قد التقينا ابناءنا وبناتنا في بغداد، من المرشحين والمرشحات في تيار الإصلاح في بابل، وبعد جولة التقصّي التي قام بها المستشارون في تيار الاصلاح في المحافظات، وصلوا الى خيرة من يعتقدون أنهم مؤهلون لحمل الامانة من ابناء هذه المدينة، أسوة ببقية المدن الاخرى، ثم استقبلناهم في بغداد، وتحدثنا معهم بكل صراحة، بأننا لا نريد منكم أن تعطونا من رواتبكم أبداً، ولا تعطونا عهداً بقصاصة ورق، ولا نريد منكم ان تساعدونا في إبرام عقود تجارية مع احد، إنما نريد مجموعة عهوداً شرعية بالعمل من اجل الفقراء، وعدم التمييز بين المواطنين، وبذل اقصى الجهود ليل نهار، والتواصل مع الناس من اجل حل مشاكلهم، وأن لا تكونوا جزءاً من الفساد، بل ان تكونوا الاصلاح الحقيقي الذي يحول الفساد الى اصلاح، وان تحترموا النظام، والدستور، وتطبقوا القانون. أنا على يقين أن هذه القيم والمبادئ، وهذه المتبنيات، وجدت طريقها إلى عمق قلوبهم، من خلال ما انعكس على بريق عيونهم، لم نأتِ بشيء جديد نحو هذا الشعب، بل منه نأخذ، ونتعلم، إنما يذكّر بعضنا البعض الآخر.

هذه المدينة تختزن في تأريخها الكثير من عناصر القوة، (بابل) ليست مدينة حديثة، وهذه الدول التي لا تاريخ لها اليوم، تتسنم اليوم موقعاً متقدماً، فأمريكا لا تاريخ لها، وتعاني من عقدته، ففي عام 1492 اكتشفها (كريستوفر كولومبوس)، ولا أحد يعرف أن هناك شيئاً اسمه امريكا في العالم حتى نهاية القرن الخامس عشر، فيما (بابل) موجودة في الألف الرابع قبل الميلاد - أربعة آلاف سنة قبل ولادة السيد المسيح - أي: ان لدينا الان ستة آلاف سنة، من حضارة ترتقي الى عنان السماء.

في بابل قمة الحضارة.. قمة المعنويات.. في بابل إبراهيم (عليه السلام) حامل لواء التوحيد.. بابل مدينة التاريخ المعنوي الذي تدوّر على مرور الزمن .. بابل مدينة الفقهاء والشعراء، لذا من غير الصحيح أن نقطع حاضرنا عن تاريخنا، ومن غير الصحيح أن نقطع مستقبلنا عن حاضرنا.

ربما مر العراق بفترة استثنائية، هي الخمس والثلاثون سنة الماضية (فترة حكم البعث)، في غفلة من الزمن جيء بحكم في ظروف استثنائية، وارتقى بعض الشذاذ، وتربّعوا على عرش العراق، وحوّلوا العراق الى بلد فقير، تذهب ثرواته هدراً لبناء

القصور، وشراء الذمم، وتطوير الآلة العسكرية، وتحطيم القيم والمبادئ، وتعريض العراق الى ما تعرض له.

إخواني.... العراق اليوم اختلف عن ذي قبل.. العراق اليوم ينتظر منكم تنافساً شريفاً في كل مهنة من المهن، وفي كل حقل من الحقول، فلنرتق إذن ِإلى مستوى المسؤولية.

نريد من ابنائنا، وبناتنا وهم يقدمون على الانتخابات، أن يضعوا في بالهم انهم امام برنامج عمل لتحريك هذه الثروة الكامنة من الجانب الاخر، ويتصدوا بجد للقضاء على الظواهر السلبية ومنها الإرهاب، والفساد الإداري.

كما ان على الناخب مسؤولية، فعندما يأتي الى صندوق الاقتراع، عليه أن ينتخب من يتوسم فيه مصلحة مدينته، من خلال كفاءته، ونزاهته، ووطنيته، وشعبيته، واحترامه للناس، وتحقيقه ما عجز عنه الآخرون؛ لذلك راعينا في اختيار مرشحي (تيار الاصلاح الوطني)، ما نتوسم بهم من ابنائنا، وبناتنا هذه الصفات، ولا ينبغي للناخب أن ينهي العلاقة لمجرد انه صوّت، وانتهى امره على العكس من ذلك، لتكن مواسم الانتخابات مع المرشحين بداية العلاقة، تبدأ قـُبيل الانتخابات، وتستمر إلى ما بعدها.

في أميركا، المواطنون يأتون الى عضو الكونغرس، ويذكرونه: أنا انتخبتك، ولديّ مشكلة، وبكل تأكيد، حتى الذين لم ينتخبوا الفائز لهم حق على من يفوز، فنحن لانجزأ الوطنية، ولانجزئ الوطن، ولانجزئ المواطنين، ويجب ان يرتقي الموقع الى حجم الوطنية العراقية، من دون ان يميز بين احد واحد، ومن خلال السلوك العملي.. من خلال النزاهة.. من خلال الصدق.. من خلال الإيثار.. من خلال عدم إحداث فرق فاحش في الامكانات المادية، بينما يتسنم الانسان الموقع، وعندما يترك الموقع لاحقاً. ما نأمله من أبنائنا وبناتنا، هو أن يعيشوا الموقع من خلال ابناء مدينتهم، ومن خلال تواجدهم في صفوف المواطنين، والتعرف على مشاكلهم من دون ان يختزلوا انفسهم في المواقع، ويجب أن نعيش هذه الحالة، هذا هو معنى الانسانية في التعامل، وهذا هو صرح الدولة، الذي يجب أن نقيمه على هذه القاعدة.أتمنى لكم كل الخير والتوفيق، في إسداء أقصى ما تستطيعون إسداءه؛ لخدمة هذه المدينة الآمنة.

شكراً لكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

علينا ان نأخذ حكما من الشهداء، ونقف الى جانب ذويهم، ونحوّل بيوتهم إلى محطات مراجعة؛ لأن البيت الذي انجب شهيداً، ينطوي على منظومة افكار ومبادئ ومفاهيم، وهذه لا تتأتى من أكاديمية، ولا من مدرسة، إنما تتأتى من ام واب صنعا شهيداً.

.....

شعبنا مسلح بأصغريه: بقلبه ولسانه، وهو شعب مثقف، وكل شيء فيه يحكي لك ثقافة، وانا على يقين أنه لو امتد بنا الوقت لرأيتم من هذه الاهازيج، وهذه الكلمات الادبية الرائعة الكثير من المفاهيم، التي تذكركم في مقطعها بمحنة، وحكمة تلقي الضوء على مشكلة، وتلتمس الطريق الى الحل، هذا هو الشعب البناء، وهذا هو الشعب الحي.

.....

نحن لا نستطيع ان نتصور عراقاً قوياً في مدينة، وضعيفاً في مدينة اخرى، قوياً في حي، وضعيفاً في حي آخر، مثلما نرى الحكومة القوية، يجب ان تكون قوية بكل اجهزتها، والمجتمع القوي، والشعب القوي قوي بكل اجزائه، وبكل مناطقة، في كل منطقة ثروة نريد لمرشحينا، من ابنائنا وبناتنا أن يتعارفوا، ويتبادلوا التحايا، ووجهات النظر، ويتبادلوا القيم والمحبة في عمق قلوبهم.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته مدينة القاسم بتاريخ 2009/1/11

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ السلام على اشرف الخلق اجمعين سيد الانبياء والمرسلين، ابي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وجميع عباد الله الصالحين.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)).

تحية حب، وإكبار، واعتزاز، وتقدير لمدينة القاسم المقدسة، ولأهلها المحترمين بكل مكوناتهم العشائرية، والثقافية، والسياسية.. هذه المدينة المعطاء التي اقترنت بمجاورة حضرة القاسم بن الإمام الكاظم (صلاة الله وسلامه عليهم)، ومن يجاور شخصية بعظمة القاسم، لابد أن يستلهم من عظمته عظمة، ونحن بأمسّ الحاجة اليها، فنحن بحاجة الى جباه مرفوعة، ونفوس كبيرة، وإرادة صلبة فولاذية لا تلين امام احد، ولا تضعف امام احد.

إن من يعِش الى جنب هذا المنبع المعنوي، يعشه تاريخاً عندما كان القاسم (عليه السلام)، نصيراً، وعضداً ضحى بحياته، واستطاع بفضل حنكته السياسية، وعمق ايمانه أن يلفت انتباه عيون القصر العباسي التي كانت تترصده، وتتسقط حركاته، وسكناته في كل مكان، حتى يسهم مع اخيه، وسيده الامام الرضا (عليه السلام)، فينطلق برسالته في كل الافاق.

كان القاسم (عليه السلام)، يخبئ نفسه في مناطق بغداد المختلفة، وتحديداً في المدائن، واينما حل القاسم (عليه السلام)، حلت معه البركة، والتغيير، والبناء، ونشر الفضيلة، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حتى استقر به المقام، واختار ان يكون مدفنه الشريف في هذه المنطقة، فلابد لابناء هذه المدينة، وهم يجاورون هذه الحضرة الشريفة، ان يستحضروا مبادئ القاسم، ومواقفه وصبره وثوريته (صلوات الله وسلامه عليه).

كانت زيارتي الاولى لمدينة القاسم في نهاية الستينيات، منذ ما يزيد على اربعين سنة، وها انا الان اعقد مقارنة بين القاسم التي زرتها في الامس الاول، وبين اليوم، كنت برفقة احد اخواني الاعزاء يوم زرتها الزيارة الاولى، ولما تزل مدينة القاسم مدينة حزينة، ولما يزل الفقر ينشر ظله على كل جوانبها.

إن مدينة القاسم كجزء من مدن العراق، تنعم بثروات مختلفة، فهي قسيمة في النفط، والماء، والزرع، والسياحة، والتجارة، وفي كل شيء، وهي مصنع للابطال، والشعراء، والمختصين، وهي مأوى لابناء العشائر المختلفة، من الذين حملوا لواء المقاومة في عصور الدكتاتورية المختلفة، وهي الوفية لتلبية نداء المرجعية الدينية في كل الاوقات.

كل شيء في مدينة القاسم يعكس لك وجهاً معطاءً، وتتعدد العطاءات بتعدد وجوه هذه المدينة المباركة، عظيمة هي المدينة التي تعطي حشوداً من الشهداء، الشهيد هو الشهيد، بيد أن الشهيد الذي يجمع في هويته عناصر معنوية متعددة لاشك، ولا ريب في أنه يرتقي على سلم الشهادة، ما لم يرتقِ له الآخرون.

الإجرام هو الإجرام، لكن الجريمة عندما تتركب، وتتقصى العائدين من بيت الله الذين عادوا كما ولدتهم امهاتهم، وجمعوا سلامة الفطرة، وصحة القلب، ونقاوة التفكير هذه الحشود التي جاءت من مكة المكرمة أهلٌ لأن تقبّل، وتحترم، وتستقبل بالورود اما ان تتطاير اشلاؤها، لا لشيء إلا لانهم ينتمون، ويتشرفون بالانتماء لخط اهل البيت، فتلك جريمة مركبة، لذا علينا ان نتعلم من دروس الشهداء، ومن سيد الشهداء (ابي عبد الله الحسين) (عليه السلام)، أن ننظر الى الشهادة على انها مدرسة، والشهيد هو الطالب الوفي الذي حمل لواء الشهادة.. الشهيد قيم ومبادئ، واذا كان قد رحل ببدنه، فلم يرحل بروحه، وفكره، ومبادئه، واهدافه:

((ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)).

علينا ان نأخذ حكما من الشهداء الذين حال بيننا وبين استقبالهم قطاع الطرق، ومغتالوا المبادئ والقيم والمفاهيم، ونقف الى جانب ذويهم، ونحوّل بيوتهم إلى محطات مراجعة؛ لأن البيت الذي انجب شهيداً، ينطوي على منظومة افكار ومبادئ ومفاهيم، وهذه لا تتأتى من أكاديمية، ولا من مدرسة، إنما تتأتى من ام واب صنعا شهيداً؛ لذلك فان الامم الحية من اجل ان تحافظ على حيويتها، وتبقى دائماً تفكر بمن وهبها الحياة وهم الشهداء فقط؛ لانهم جادوا بأرواحهم؛ من اجل اممهم وشعوبهم، وتخطّوا بجيلهم المعاصر اجيالهم المستقبلية، هذه الامم تحول ارواح الشهداء، الى نفَس يصعد في صدور ابناء الشعب، ويتحرك دمهم المتدفق في ساحة المواجهة في عروق الاخرين، فيلدون جيلاً ثائراً لا يهادن الظلم.

هذه المدينة يجب ان تشهد صعوداً يتناسب مع ثرواتها المتعددة، ثرواتها المادية والمعنوية، الاهتمام بحضرة القاسم (صلوات الله وسلامه عليه)، فيه من الابعاد المعنوية ما يجعلنا في اقل درجات العرفان له، نحن يجب ان نكون وفيين لمبادئنا، وقيمنا فالعتبات المقدسة هوية العراق المعنوية المهمة، والعالية، والتي تطال أعنان السماء، يجب ان نهتم بمراقد ائمتنا (عليهم افضل الصلاة والسلام).

إن الاهتمام بمدينة القاسم يعني، أن نفتح ذلك الحدث التاريخي، ونحوله الى حالة تنبض بالحيوية، وتعاصر الزمن بل تسابق الزمن، حتى يعرف الاخرون أن القاسم (عليه السلام)، ليس مجرد مرقد هنا في هذه المنطقة في محافظة الحلة المعطاء، إنما هو ثروة معنوية، وكنز قيمي، وبركان ثوري يمدنا بالصمود.

إنما تعطي مدينة القاسم الشهداء، لأن ابناءها وبناتها استمدوا ثوريتهم، وصمودهم، وشجاعتهم من اهل البيت (عليهم السلام)، ومن هذا الرمز(أي: القاسم)، مذ كانوا صغاراً، حيث كبروا وترعرعوا في احضان هذه المدينة، ومشاهد هذه القبة الشريفة التي من ينظر إليها ولاشك، ولا ريب في أن قلبه، وعقله سيستلهمان من فكر القاسم (عليه السلام) الكثير، ومن قيمه ومبادئه.

ينبغي ان نتعلم من القاسم، الذي حمل الرسالة الى جنب اخيه، وسيده الامام الرضا بن الامام الكاظم (عليهم السلام)، على الرغم من محاصرة أجهزة الأمن العباسي، ومطاردتها له في كل مكان، ولم يكن اختفاؤه عزلة عن الحياة، حيث ملأ الحياة في كل مكان تواجد فيه. القاسم (عليه السلام) صرخ الى جنب أخيه الإمام الرضا، صرخة تدوي عبر التاريخ، لا تنعزل اذا كنت مختفياً مقابل الظلم والظالمين، بل تنعزل اذا انعزلت عن مبادئك وقيمك.. خط القاسم (عليه السلام) كان خطاً متصاعداً، مكملاً ومتجاوباً مع خط الامام الرضا (عليه افضل الصلاة والسلام)، حيث استقطب انظار اجهزة المخابرات العباسية، حتى لا يأذوا الامام الرضا، فيما انفتح واتسع الامام الرضا بحركته، ليملأ ارجاء العالم الاسلامي، وعيون القصر العباسي تتصور ان الامامة من بعد الامام الكاظم (عليه السلام) ستكون للقاسم وليس للرضا، هذه هي الحنكة السياسية، وهكذا تكون المبدئية، فعندما تصنع نظرية، لا تنطلق من الميكافيليات، بل انطلق من مبادئ وقيم حقة.

اليوم نحن نتحمل مسؤوليات بناء دولة جديدة (العراق الجديد)، وشهداؤنا يقدرون فينا دموعنا عندما نبكي عليهم، لكنهم بكل تأكيد ليسوا بحاجة الى الدموع، نعم يشكروننا على ذلك، والدمع عندما يذرف من العين ليس نقصاً على العكس من ذلك، انما يعبر عن صفاء القلب، وعن وعي الحدث، وعن وعي الضحية، وعن وعي الطريق الذي ننوي أن نمضي به، لذلك الدموع التي تسكب على الامام الحسين دموع طاهرة، تعبّر عن صفاء القلوب، وتعبّر عن الوعي بالامام الحسين، وعن وعي بالذين ظلموا الامام الحسين.

السؤال هو: كيف نكمل الطريق، وكيف نحقق اهدافهم (الشهداء)، لانهم حتى اللحظات الاخيرة عاشوا من اجل اهدافهم؟ الفصل المقبل، وفصول اخرى تتلوه فصول انتخابات، فما الذي ينبغي علينا ان نفعل في الانتخابات؟.

الجدران مزدانة بصور أبنائنا وبناتنا، وهذا فخر لنا فتحية لكل هؤلاء، ومن اية قائمة كانوا، وتحية لكل وطني يشعر بداخله انه يريد ان يبني المدينة، وتحية لكل حرائر العراق، وكل الذين ينوون خوض غمار المنافسة الانتخابية الشريفة؛ حتى يخدموا بلدهم، ويُنهوا فصول المأساة.. ونحن نريد منهم ان يتباروا مباراة نقية

صافية، لا تشوبها شوائب الانحراف، مهما كانت الخلافات في وجهات النظر، ونحن نقدرها، ولله در المتنبي عندما قال:

على قدر اهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم

شعبنا مسلح بأصغريه: بقلبه ولسانه، وهو شعب مثقف، وكل شيء فيه يحكي لك ثقافة، وانا على يقين أنه لو امتد بنا الوقت لرأيتم من هذه الاهازيج، وهذه الكلمات الادبية الرائعة الكثير من المفاهيم، التي تذكركم في مقطعها بمحنة، وحكمة تلقي الضوء على مشكلة، وتلتمس الطريق الى الحل، هذا هو الشعب البناء، وهذا هو الشعب الحي، كل العراقيين يذودون عن العراق، كل العراقيين يحبون العراق؛ لأن العراق احبهم، ولم يميز بينهم في عطاءاته، فوجب على العراقيين ان يعطوا العراق.

أن يكون العراق متعدداً في القوميات، فهذه حقيقة سكانية كالحقيقة الجغرافية، لكن العراقيين كلهم عملوا من اجل العراق، وكل العراقيين كان يئنّ بعضهم لأنين البعض الآخر، يوم نزف الجرح الكردي، في حلبجة وفي الانفال بكى العراقيون جميعاً دماً عليهم، وانا على يقين ان الاكراد انفسهم بكوا علينا في الانتفاضة الشعبانية، وعندما كان يخرّ صريعاً احد شهدائنا في مناطق الوسط، أو الغرب، أو الجنوب كانوا يبكون علينا علناً.

إذن الشعب العراقي ألقى الحجة، بانه شعب متوحد، وعلى السياسيين المتصدين أن يضعوا في حسابهم ان يراجعوا انفسهم، فهذا الشعب الذي ابى الا ان يحافظ على وحدته، لم ولن يتراجع عن ذلك، فهو يعبر عن وحدته باحترام اللغات كلها، ولا يختنق في منطقة دون اخرى، واذا كان العلم يعبّر عن سيادة العراق، فكل العراقيين يرفعون علم العراق، لانه التعبير المشروع عن وحدة العراق وسيادته.

شعبنا واحد، ويستمد وحدته من وحدة العراق، وسيادته من سيادة العراق، والجميع حين يتقدمون الى مواسم الانتخابات، سيجدون ان الوطنية الحقة لا تختنق بأحد، ولا تنحاز لأحد، ونتعقل ان يكون هناك تنافس شريف بين القوائم المختلفة، وهكذا دائماً

تولد الحقيقة، تولد من رحم التنافس، تتنافس الشعوب الحية كل يدلو بدلوه، وللمواطن كل الحق، بل كل المسؤولية من اجل ان يحدد من يراه كفوءاً، ووجدتم أنموذجا رائعا مثلته المرجعية الدينية، حيث ابت الا ان تتسع بصدرها لكل المخلصين، والوطنيين العراقيين، من دون ان تسمح لاحد بأن يتخذ منهم واجهة لها، حيث يسع قلبها لكل العراقيين.

على القوائم ان تضع في حسابها، أن هذه مسؤولية ألقت المرجعية بها على عاتق كل المسؤولين، وأرادت منهم أن يتفانوا من اجل الفقراء، ومن اجل عموم الشعب، لذا نريد من المرشحين ان يفكروا جيداً بتحويل الثروة العراقية الى مالكيها الشرعيين؛ حتى تختفي آثار الفقر، والبطالة، والأمية.

نريد أن ننشر لواء العلم والمعرفة، خصوصاً أن الحرف انطلق من العراق، وأن بواكير المعرفة والعلم انطلقت من العراق، من هنا، من بابل، وليس على الأمّي نقطة ضعف، بل على الذين يملكون ناصية الامور، حيث ينبغي ان يتباروا وبأسرع وقت ممكن، لنشر لواء العلم والمعرفة.. وعلى شعبنا أن يتواصل مع المسؤولين، ويذكرهم دائماً بأنهم حاضرون في الميدان.. هذه دعوة لكل القوى السياسية لأن تراجع نفسها.. تراجع برامجها، ولا تصر على نقاط الخطأ، إنما تصر على نقاط القوة ونقاط الصواب، وعندما يكتشف الانسان نقطة ضعف، او اكثر بمنهجه عليه ان يراجع نفسه، فمن سمات القوة ان يراجع الانسان نفسه، واذا كان الانسان يحتاج قدراً من الشجاعة عندما يكشف، ويصرح بنقاط الضعف عند الاخرين، فإنه مدعو لأن يتحلى بشجاعة اكبر حتى يراجع نفسه، ويقف امام اخطائه.

من غير الصحيح ان نترك مدناً كهذه المدن، بكل ما زخرت به من طاقات وامكانات، وأن يمر عليها الزمن، وتتعاقب الاعوام بل العقود، وهي على حالها، ما بين الستينيات الى الان مر ما يزيد على اربعين سنة، ومنذ زيارتي الاولى للقاسم، حين كنت طالباً في كلية الطب، مر الزمن، وها هي مدينة القاسم تراوح مكانها. العراقيون جميعاً مدعوون، للنهوض بهذه المدينة الى جانب البقية.. نريد من المرشح ان يهيء نفسه من خلال برامجه، والمناهج المطلوبة للانتقال بكل المدينة، والصعود بها الى ما يناسبها من الثروة المعنوية، ثروة العتبة المقدسة، ثروة السياحة، حيث تفتح مدينة القاسم أبوابها على مختلف مناطق العالم؛ فتمتد هذه الثروة المعنوية، الى كل اطراف العالم. المطلوب من المرشحين أن يتسابقوا في مناهجهم، وأوراق عملهم، نريد هذا التنافس الشريف حول من يعطي مدينة القاسم أكثر، ويعطي كذلك مدينة الحلة، وتكون حركة مدينته ضمن حركة المدن الأخرى.

نحن لا نستطيع ان نتصور عراقاً قوياً في مدينة، وضعيفاً في مدينة اخرى، قوياً في حي، وضعيفاً في حي آخر، مثلما نرى الحكومة القوية، يجب ان تكون قوية بكل اجهزتها، والمجتمع القوي، والشعب القوي قوي بكل اجزائه، وبكل مناطقة، في كل منطقة ثروة نريد لمرشحينا، من ابنائنا وبناتنا أن يتعارفوا، ويتبادلوا التحايا، ووجهات النظر، ويتبادلوا القيم والمحبة في عمق قلوبهم.

سنعمل سوية.. حيث سيبقى هؤلاء ابنائنا كلهم، فنحن نريد ان نستودعهم الأمانة، كيف نسلم الامانة بمن يضيق صدره ذرعاً بالاخرين، لا لشيء الا لانه مرشح من قائمة اخرى، وإذا كنا نريد ان نميّز، فيجب ان نقدم الفقير، لأنه الشريحة الاوسع، وهو مادة العراق الجديد الى الصعود، ويجب أن نسهل على المرشحين مهمتهم، ونذلل العقبات أمامهم، وهذا هو السمو الاخلاقي.

الإنسانية كل الانسانية، والقيم كل القيم، أن تبذل جهدك، وتسهّل على الآخرين، كل هؤلاء المرشحين والمرشحات، ابناؤنا وبناتنا، انا أتوسم بهم كل الخير.. أختم حديثي هذا، وأسلم على سيدي القاسم (عليه السلام)، وأحييكم تحية أبوية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.